

## مفهوم الفتنة من منظور نهج البلاغة

عباسعلي فراهتي<sup>١</sup>، ليلا زارعي شهامت<sup>٢</sup>

١. أستاذ مساعد في قسم الفقه ومبادئ الحقوق الإسلامية بجامعة كاشان، إيران. (a.farahati@gmail.com)

٢. طالبة الدكتوراه في فرع علوم ومعارف نهج البلاغة بجامعة كاشان، إيران. (الكاتبة المسؤولة) (laila.zarei90@gmail.com)

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٤/١١      تأريخ القبول: ١٤٣٩/٦/٢١

### Concept of Sediton from the Perspective of Nahj-ul-Balagha

Abasali Ferahati<sup>1</sup>, Leyla Zareii Shahamat<sup>2</sup>

1. Assistant Professor, Department of Jurisprudence and the Foundation of Islamic Law, Kashan University (a.farahati@gmail.com)

2. Ph.D. Candidate in Nahj-ul-Balagha Studies, Kashan University (Corresponding Author) (laila.zarei90@gmail.com)

Received: 10/March/2018

Accepted: 31/December/2017

#### Abstract

One of the political and social problems with which Islamic regimes are dealing is sedition which might appear under specific social, contextual, and political circumstances. In order for Muslims overcome a condition which has become dusty and misleading due truth and false mixed up, they should know its constituent factors so that they can save themselves from its consequences. Given that sedition can take place at all times, such a project appears to be essential in order to provide insight among people in the society. The findings of this study are based on the religious texts including the Qu'ran, Nahj-ul-Balagha, historical books, and interpretation of Shiite and Sunnite. This article seeks to investigate the conceptology of sedition, different aspects of sedition, and the strategy of coping with sedition using analytical-descriptive approach. The result of the study showed that the most important characteristics of the seditious are returning to the age of ignorance, undermining the religious principles and values, and suspicion and tyranny. Among the ways of getting rid of sedition are resorting to the Qu'ran, following the Prophet (PBUH) and his Household, providing vision among people as to sedition, and obeying the leader.

**Keywords:** Imam Ali (AS), Nahj-ul-Balagha, Sediton, Seditious.

#### الملخص

تعتبر إثارة الفتن من المقولات الاجتماعية والسياسية التي تواجهها الحكومات الإسلامية والتي يمكن لها أن تنشأ في ظروف اجتماعية وسياسية معينة. ولكي يتجاوز المسلمون الجو الذي امتزج فيه الحق والباطل وأصبح مضللاً ومظلماً، عليهم أن يعرفوا العوامل التي سببت، حتى يتمكنوا من إنقاذ أنفسهم من عواقبه. وبما أن الفتنة يمكن أن تظهر في جميع الأوقات، فإن هذه الدراسة ضرورية من أجل نشر التوعية بين الناس في المجتمع. ويرتكز هذا البحث على النصوص الدينية، بما فيها القرآن ونهج البلاغة، فضلاً عن الكتب التاريخية للسنة والشيعة. وتسعى هذه المقالة إلى البحث في مفهوم الفتنة وجوانبها بالاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي، واكتشاف طرق مواجهتها والتخلص منها. وقد أظهرت نتائج البحث أن أهم خصائص مثيري الفتن تتمثل في العودة إلى عصر الجاهلية وتقويض مبادئ الدين وأسسها والشك والطغيان والاستبداد. وتتجلى أهم طرق التخلص من الفتن في اتباع تعاليم القرآن الكريم والنبي (ص) وأهل بيته (ع) والتخلي بالبصيرة والوعي في مواجهة مثيري الفتن وطاعة القائد وغيرها.

**الكلمات المفتاحية:** الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، الفتنة، مثيرو الفتن.

## المقدمة

التالي، وَلَهُمْ حَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ» (شهيدى، ١٣٧٨: ٩) أنقذ النبي (ص) الناس من الجهل، أما أمير المؤمنين فيريد أن يعيد الحق إلى أهله: «الآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَيَّ مُنْتَقَلًا» لينقذ الناس مرة ثانية من الفتنة والجهل.

وبما أن الثورة الإسلامية مستوحاة من التعاليم العلوية مقتدية بحكومة الإمام على (ع)، يقول الإمام الخميني (ره) في تصريحاته: الحكومة الإسلامية هي حكومة إلهية ونحن على مسير الحكومة العلوية. وتهدف الثورة إلى الوصول للمجتمع النبوي والعلوي. وتعرض المجتمعات أيضا للفتن في أي وقت، وقد قدم الإمام على (ع) الكثير من التعاليم حول الفتن وطرق التغلب عليها، والتي يمكن أن تعالج العديد من المشاكل الخطيرة للمجتمع الإسلامي في العصر الحاضر في مواجهة الفتن والمؤامرات.

## أسئلة البحث

ما هو مفهوم الفتنة وما هي آثارها ونتائجها في القرآن الفكر العلوي؟

ما هي طرق التغلب على الفتن في الفكر العلوي؟

بما أن الحق والباطل يمتزجان في الفتن، ولذلك يبدو أن الفتنة نوع الاختبار يتعرض له الأفراد لتميز الحقيقة. ويمكن للفتنة تغيير الهيكل الفكري للمجتمع. ويمكن التغلب على الفتن بالإيمان والعقيدة والالتزام بالقانون والاتحاد والتضامن وطاعة القائد وتنوير الذهن العام وغيرها.

## خلفية البحث

من بين البحوث التي أنجزت في هذا المجال يمكننا الإشارة إلى مقالة "الشبكة الدلالية (Semantics) لمفردة الفتنة ومرادفاتها في القرآن"، والتي طبعت عام ١٣٩٤ بالتعاون مع خيريه عجرش ومرضية كهندل جهرمي في مجلة الدراسات القرآنية، العدد ٢٤. وهناك بحوث أخرى مثل: مقالة "طرق مواجهة الفتنة في الرسالة ١٨ من نهج البلاغة" التي نشرت في فروردين ١٣٩١ بواسطة سجاد فروزش في مجلة مبلغان، العدد ١٥١، مقالة "مبادئ التربية السياسية في الإسلام، فتنة عام ١٣٨٨ مثلاً" بالتعاون مع داود مهدي وعلي محمدي سيرت ونشرت عام ٢٠١٥ م في مجلة المعرفة السياسية،

تعتبر الفتنة من التيارات الناشئة في المجتمعات الإسلامية. يحاول مثيرو الفتن أن يلبسوا الباطل لباس الحق ويتظاهروا بأنهم متدينون محبوبون للعدالة وأن يجعلوا التمييز بين الحق والباطل صعبًا، الأمر الذي يهدف بالطبع إلى تدمير الحكومة الدينية والعودة إلى قيم الجاهلية، ولكن يقصدون الجاهلية التي تتناسب مع الوقت الحاضر، مما يُعبّر عنها بالجاهلية الحديثة.

وللفتنة جذور تمتد بطول التاريخ إلى ما قبل الفترة التي أصبح فيها الإنسان اجتماعيًا، منذ أن خلق الله آدم وأمر إبليس بالسجود له، لكن إبليس تكبر وامتنع عن السجود، وهذه كانت بداية الفتنة. ويعتبر العلامة الطباطبائي في كتابه تفسير الميزان أن أسباب امتناع إبليس عن السجود لآدم تتمثل في التكبر والحسد والقياس واعتبار نفسه مستقلاً (طباطبائي، د. ت: ٢٩ / ٢٤-٨) يقول تعالى في القرآن الكريم: «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» (الحجر: ٣٩).

حدثت خلال فترة حياة النبي (ص) الكثير من الفتن على يد المشركين واليهود والمنافقين على شكل فرض عقوبات اجتماعية واقتصادية، وطرده المسلمين من مكة المكرمة، وزرع التفرقة بين المهاجرين والأنصار، وإحياء العداوة بين الأوس والخزرج، ومحاولة تقويض أسس إيمان المسلمين، والهجوم ضد النبي (ص) وشن ثلاث معارك في بدر وأحد والخندق. وبعد رحيل النبي (ص) اغتصب الخلفاء الثلاثة الخلافة كل منهم بدوره مبهدين الطريق أمام المزيد من الانحرافات. وفي عهد الإمام على (ع)، شنّ مثيرو الفتن حروب الجمل، صفين والنهروان. إن أسباب الفتنة قد تكون داخلية أو خارجية، وفي مجتمعنا اليوم تنبع الفتن الداخلية عن الفتن الخارجية.

## إشكالية البحث

يعبّج تاريخ صدر الإسلام، ولا سيما القرن الأول الهجري بالفتن التي أبعدت المجتمع الإسلامي عن الصراط الذي رسمه القرآن الكريم والنبي (ص) يشير الإمام على (ع) في الخطبة الثانية من نهج البلاغة إلى الفتنة الأولى التي حدثت بعد رحيل النبي (ص) في سقيفة بني ساعدة فيقول: «هُمُ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْبَيْتِ، إِلَيْهِمْ نَبِيُّ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ

العذاب، الحرق والجنون (السيوطي، ١٤٢٩: ١ / ٢٨٦)، لكننا لن نذكر الآيات تجنباً للإطالة، وإلى جانب المعاني التي أشار إليها السيوطي سنتطرق إلى أقرب المعاني.

## ٢. الفتنة في القرآن ونهج البلاغة اصطلاحاً

الفتنة في القرآن ونهج البلاغة ذات معنى عام ومعنى خاص. فالمعنى العام يشير إلى الاختبار والمعنى الخاص يعنى الفوضى. والآن سنلقى نظرة على أمثلة قيمة من هذين الكتابين. الفتنة في القرآن تعنى الاختبار وقد أشير إليها في كثير من الحالات. «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (الأنفال: ٢٨) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣٥٦/٢) المعنى الثاني للفتنة في القرآن: «الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ...» (البقرة: ١٩١) الفتنة بمعنى الفوضى والإخلال بشؤون الدين (ابن عاشور، ١٩٨٤: ١٧٠ / ٢).

وجاء في نهج البلاغة حول الفتنة بمعنى الاختبار: «لَا يُقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَعَاذَ فَلَيْسَتْ عِندَهُ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ...» (الحكمة: ٩٣) (شهيدى، ١٣٧٨: ٣٧٥) ويقول (ع) حول الفتنة بمعنى الفوضى: «أَيُّهَا النَّاسُ شَقُوا أَمْوَالَ الْفِتَنِ بِسُقْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ» (الخطبة: ١٣، ٥).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يعتبر المال والبنون فتنة دائماً؟ سنشير إلى حالات اعتبر فيها المال والبنون من النعم: «زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» (آل عمران، ١٤) تعنى الفتنة فى هذه الآية «القناطر المَقَنْطَرَةُ» المال الكثير (الطبري، ١٤٢٠: ٢٤٩/٦) وجميع هذه «القناطر المَقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ» مصاديق المال، فإذا استهدف الإنسان الدنيا فسوف يغفل عن الأهداف الأسمى مما يشكل عاملاً لانحطاطه. تنتقد هذه الآية التعلق بالحياة الدنيا بتعبيرها عن ذلك بعبارة «حُبُّ الشَّهَوَاتِ».

فى الآية ٤٦ من سورة الكهف، عبّر عن المال والبنين على أنهما زينة الحياة الدنيا: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً» تبين

العدد ١٣، ويذكر أنه نشر أكثر من ٥٠ عمل حول فتنة عام ١٣٨٨، كتاب "موجة الفتنة من حرب الجمل إلى الحرب الناعمة" تأليف أحمد حسين شريفى، ١٣٩٠، مطبوعات مركز فكر الشباب. كما تطرق بعض الشارحين إلى هذا الموضوع بشكل متفرق مثل ابن أبى الحديد، ترجمة نهج البلاغة وتفسيره لمحمد تقى جعفرى ورسالة آية الله مكارم شيرازى وغيرهم. وعلى الرغم من البحوث التى أجريت فى هذا المجال، فإنَّ ضرورة البحث والنتائج غير المطلوبة التى يمكن للفتن أن تسببها من جهة، وعدم التطرق إلى الموضوع من كافة أبعاده وبشكل شامل، دفع بالباحث إلى التطرق إلى موضوع الفتنة وطرق التغلب عليها. يشمل هذا البحث تعريف الفتنة لغة واصطلاحاً وعوامل ظهور الفتنة وخصائص الفتنة ومثيري الفتنة وطرق التغلب على الفتنة وتعامل الإمام علي (ع) مع مثيري الفتن.

## ١. تعريف الفتنة لغة

يقول الفراهيدي فى تعريف مفردة "فتن" الذى اشتقت منه كلمة "فتنة": "الفتن: «إحراق الشئ بالنار كالورق الفتين أى المحترق» (الفراهيدي، ١٤١٠ ق: ١٢٧/٨) أما الراغب الاصفهاني فيقول: «أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته» (الراغب الاصفهاني، ١٤٠٤ ق: ١ / ٦٢٣) ويقول ابن منظور فى لسان العرب: «جماعُ معنى الفتنَة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنتُ الفضة والذهب إذا ذوّبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيّد» (ابن منظور، ١٤١٤: ١٣ / ٣١٧) ولكن وجهة نظره حول هذه الكلمة يبتعد عن المعنى اللغوي لها ويقرب من المعنى الاصطلاحي الذى سنشير إليه. ويبدو أن المعنى الذى قدّمه الفراهيدي حول هذه الكلمة أكثر صحة لأنه المعنى الأكثر رواجاً فى اللغة العربية، ومن هذا المنطلق فإنَّ معنى "إحراق الشئ بالنار" هو المعنى اللغوي الدقيق لهذه الكلمة، وعلى الرغم من أنَّ الراغب الاصفهاني وابن منظور أشارا إلى هذا المعنى، لكنهما اعتبرا تعريفهما أكثر مصداقية ولم يشيرا إلى مفهوم هذه الكلمة. واستخدمت الفتنة فى القرآن بالمعنى التالية: الشرك، الكفر، التضليل، القتل، الردع، الضلال، الاعتذار، القضاء، الذنب، المرض، العبرة، العقوبة، البلاء،

يكمن في اتباع هوى النفس ويقول: «بَدَأَ وَفُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ» (الخطبة: ٥٠)، لأن اتباع النفس الجامحة يجعل الإنسان غافلاً عن ذكر الله، وهنا يبدأ الانحراف عن الصراط المستقيم. وذكرت النصوص الدينية أن عدم التقيد بالتعاليم الإلهية يؤدي بالإنسان إلى الهلاك، وهو ينشأ عن عدم تشخيص الحق عن الباطل: «يَبْتَئُ الْفِتْنُ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمْوُجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا» (الخطبة: ١٦٤) (شهيد، ١٣٧٨: ١٦٩).

٢. **البدع في الدين:** البدعة في الحقيقة استكمال للهوس، فالأشخاص الذين يفسرون الآيات والأحاديث على هواهم، يقومون في الحقيقة بتبرير هوى النفس. وتنشأ البدع في الدين من ناحية العلماء، وعادة ما تؤدي أخطاؤهم إلى انزلاق الكثير من الناس في وادي الخطيئة. لقد أدت البدع في صدر الإسلام إلى ارتكاب الكثير من الجنايات ضد أهل بيت النبي (ص): «كُلُّ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِدَمِهِ؟» (شيخ صدوق، ١٤٠٠: ٤٦٢) وقد لجأ عمر بن سعد إلى تشجيع جيشه لمحاربة الإمام الحسين وأنصاره بإطلاقه لشعار: «يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري» (بلاذري، ١٣٩٤: ١٨٤/٣).

٣. **حب الدنيا:** وهو من العوامل الأخرى التي تؤدي إلى ظهور الفتنة. يقول الإمام علي (ع) في هذا الشأن: ألا وإنَّ حب الدنيا رأس كل خطيئة، وباب كل بلية، ومجمع كل فتنة، وداعية كل ريبة، والويل لمن جمع الدنيا وأورثها من لا يحمد، وقدّم علي من لا يعذره (شعبة الحراني، ١٤٢٣: ١٥٢) إنَّ حب الدنيا الذي يشمل جمع الأموال والثروات يؤدي إلى الفتنة كما يقول الإمام علي (ع) في الخطبة ٨٢ من نهج البلاغة: «أَصِفْ مِنْ دَارِ أَوْلَئِهَا عَنَاءً، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ» (شهيد، ١٣٧٨: ٦٠)، ويقول في الحكمة ١٥٠: «إِنْ اسْتَعْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَبِطَ» (م. ن: ٣٨٩) وكلامه هذا تصديق للآية الكريمة التي تقول: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ» (علق: ٧-٦) لقد كان العامل الرئيسي في ظهور فتنة الجمل، حب الدنيا وطلب الثروة. وقد أدرك مالك الأشتر الصحابي البصير للإمام علي (ع) هذه الحقيقة حول الخوارج وخاطبهم قائلاً: يا أصحاب

هذه الآية الكريمة الركنين الأساسيين للحياة الدنيا، القوة الاقتصادية والقوة الإنسانية اللتان تلزمان لتحقيق أي هدف من الأهداف الدنيوية، (مكارم شيرازي، ١٣٨٠: ١٢ / ٤٨٦). جاء في الآيات ١٢-١٠ من سورة نوح: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا». في هذه الآية الكريمة يعدهم الله بنعمة معنوية كبيرة وهي غفران الذنوب والتطهر من الكفر والعصيان، وخمس نعم مادية كبيرة وهي المطر والأموال والبنون والبساتين والأنهار. لو أن للمال والبنين قيمة سلبية لما وعد الله بهما.

وذكر في بعض الآيات أن بعض الأنبياء طلبوا البنين من الله وبعضهم فرحوا كثيرًا لأن الله رزقهم بالبنين: «هَذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبِّهِ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» (آل عمران: ٣٨) ويقصد زكريا بعبارة «ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» أن يزرقه الله ولدًا له كرامة مثل كرامة السيدة مريم (طباطبائي، د. ت: ١٠/١٤) «فَلَمَّا اعْتَرَزَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا» (مريم، ٤٩) إنَّ أولادًا مثل اسماعيل، اسحاق ويعقوب يعتبرون من نعم الله كثواب على تحمل النفي من الوطن والهجرة من بين المشركين.

نلاحظ أن القرآن الكريم لا يشير إلى المال والبنين كفتنة في كل حالة، بل يعتبرهما زينة في بعض الآيات. إذن فإنَّ القيمة الإيجابية أو السلبية لهما تتعلق بنية الإنسان ودوافعه، فإذا استخدم هذه النعم في طريقه إلى الكمال فسوف تكون قيمة إيجابية، لكن إذا استخدمها للتعلق بالدنيا وغفل عن الأهداف السامية، فسوف تصبح أسبابًا للفتنة وتكون ذات قيمة سلبية من الناحية الأخلاقية، لأنَّ التعلق بالدنيا أمر مذموم وهو جذر لكل خطأ وذنوب. إذن فإنَّ أساس الفتنة في كل من المعنيين هو التمتع والطغيان، وقد ينعم الله تعالى على عباده أحيانًا لكي يختبرهم، مما يمهد الطريق أمامهم لأجل الفتنة، ومثير الفتنة في المعنى الثاني هو الشخص الشخص الذي أدى طغيانه إلى الفوضى.

#### عوامل ظهور الفتنة

١. **اتباع هوى النفس:** يعتبر الإمام علي (ع) أن منشأ الفتنة

يقوم كل واحد منهما بها يوماً وطلب كل منهما من عائشة أن يلقي الناس عليه التحية ويعرف بالإمارة فأمرت عائشة بإلقاء التحية على الاثنين وقبولهما للإمارة (فيض الإسلام، ١٣٧٩: ٣ / ٤٥٣) وكثرت هذه الخلافات بينهما كثيراً ولذلك يقول الإمام على (ع): أقسم لو أنهما بلغا ما يريدانه لفضى كل منهما على الآخر.

٥. **عدم امتثال أوامر القائد:** طاعة الأنبياء والقائد وأولى الأمر شيء واجب: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (النساء: ٥٩) إن الأشخاص الذين يعصون قيادة المجتمع التي تستند إلى تعاليم الوحي والإمامة والولاية أو يميلون إلى التعاون مع مثيري الفتن، فسوف يسقطون في نيران الفتن. ولذلك فقد أكد القرآن كثيراً على هذا الأمر: «وَرَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ اتَّبَعْتُمْ فَلَإِنَّ عِدَّةَ الْوَالِدِينَ الْأَعْلَى الظَّالِمِينَ» (البقرة: ١٩٣).

#### قادة الفتنة

يتضمن كلام الإمام على (ع) الحديث عن أركان الفتنة وهي:

١. **فاعل الفتنة (مثير الفتنة):** يعتبر الإمام على (ع) أن فاعل الفتنة هو الشيطان قائلاً: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَيِّ لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحِلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِرُوا عَنْ نَزْعَاتِهِ وَنَفَاتِهِ، وَأَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاغْفَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» (الخطبة: ١٢١) يحذر الإمام (ع) في هذا القسم من تأمر الشيطان والمقصود بالعقدة هنا القوانين والأنظمة التي تؤدي إلى استقرار الدين (ابن ميثم، ١٣٦٢: ٣ / ١١٨)، وبين طرق نفوذه في أن الشيطان يصور لنا طرق الانحراف سهلة حتى نبدأ بالسير على طريقه، ولهذا فهو يقوم بعمله خطوة خطوة حتى يحل الدين عقدة عقدة ويقضى على العقائد واحدة تلو الأخرى وبدلاً من التضامن والوحدة فهو يزرع الفتنة وينشر التفرقة. ولذلك يطلب الإمام على (ع) قبول النصيحة من الأشخاص الصالحين.

٢. **قادة الفتنة:** ويسميه الإمام على (ع) «المنافقين» ويقول: «أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرِكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُونَ الْمُرْتَلُونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا، وَيَفْتَنُونَ أَفْتِنَانًا» (الخطبة: ١٩٤) بعد التوصية بالتقوى، يشير الإمام علي (ع) إلى صفات المنافقين وينصح بالابتعاد

الجباه السود!.. كنا نظنُّ صلاتكم زهادةً في الدنيا، وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى مرادكم إلا الدنيا!.. ألا قبحاً يا أصحاب النبي الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً. فابعدوا كما بَعُدَ القوم الظالمون! (المنقري، ١٤٠٤: ٤٩١) وبين الإمام على (ع) في الخطبة المعروفة بالشقشقية فتنة الناكثين والقاسطين والمارقين بصراحة ويصفهم بأنهم يرون الدنيا جميلة قد سحرهم ذهبها البرق.

٤. **الوصول إلى الحكم والمناصب الإدارية:** يتوقع بعض الأفراد والأسر المتنفذة في المجتمع من الهيئة الحاكمة بعض المزاي والمناصب والثروات، فإذا لم يحصلوا عليها نظراً لأنها غير قانونية، يعمدون إلى تشكيل الأحزاب المعارضة ويسمون فعاليتهم النضال ضد الظلم، ولكن خلف مبادرتهم هذه تكمن خفايا كثيرة مثل الرئاسة والأنانية وحب الجاه والمال. وقد بين معاوية بعد سنوات من استشهاد الإمام على (ع) أن حربته ضد علي وأنصاره لم تكن للدفاع عن الإسلام ومقدساته وقيمته، ولا لإحياء الصلاة والصيام والحج والزكاة، بل كان يسعى وراء الحكومة والرئاسة والخلافة (شيخ مفيد، ١٤١٣: ١٤ / ص ٢) و(ابن أبي الحديد، ١٣٤٠: ١٦ / ٤٦) ومن علامات المنظمات والأحزاب المثيرة للفتن هي أنها تتأسس عادة بعد فشل في الوصول إلى السلطة. يقول الإمام على (ع): «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ، وَلَا يَمْتَدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ صَبِّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ! وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا...» (الخطبة: ١٤٨).

إن طلحه وزير كان كُتْلُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ (لأن كلاهما كان يريد الخلافة لنفسه ولم تكن محاربتهم للإمام لأجل الدين والإيمان كما كانا يديان بل حباً بالدنيا والجاه)، لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ، وَلَا يَمْتَدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ (ليس لدى أي منهما حجة أمام الله لإراقة الدماء لأن أياً منهما لم يكن من أنصار الدين ولم يكن يؤمن بالله)، كُتْلُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ صَبِّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ! وعندما دخل البصرة مكرراً قبض على عثمان ابن حنيف وقتل الكثير من حراس بيت المال واختلفا على إمارة الصلاة حتى أصلحت عائشة بينهما واتفقا على أن

### خصائص الفتنة

١. امتزاج الحق والباطل: في الفتنة يمتزج الحق بالباطل ولا يعود وجه الباطل واضحاً، وهنا يتمكن مشيرو الفتن من تضليل أولئك الذين تنقصهم البصيرة. بديهى أن الأشخاص الذين يريدون إثارة الفتن بين المسلمين لا يمكنهم مخالفة مبادئ الدين وقيمه بشكل مباشر وواضح، لأنهم سيلقون الهزيمة، ولهذا فهم يقدمون مزيجاً من الحق والباطل بشكل جذاب ومؤثر إلى الناس. ويعرف الإمام على (ع) في نهاية حرب صفين الشبهة على النحو التالي: «وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ» (الخطبة: ٣٨) ويعتبر الإمام على (ع) أن أهم سمات الفتنة تتمثل في الاشتباه بين الحق والباطل مشيراً إلى ذلك أثناء بيعة الناس له على النحو التالي: «دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبَلُونَ أَمْرًا، لَهُ وَجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتِ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ» (الخطبة: ٩٢) (شهيدى، ١٣٧٨: ٨٥) وفي الخطبة ٥٠ يقول: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُؤْتَدِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيَمَزَجَانِ، فَهَذَا لِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى» (طالقانى، ١٣٧٤: ٥٢٥) لكن امتزاج الحق بالباطل لا يمنع من معرفة الحقيقة ولذلك يتابع (ع) (ع) كلامه قائلاً بأن المؤمنين مصونون من الضلال ويقول في الخطبة ٩٣: «نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ» نستنتج من هاتين الخطبتين أن المؤمنين هم قادة الصراط المستقيم.

٢. مخفية ومجهولة: بما أن مشيري الفتنة يعمدون إلى مزج الحق بالباطل، ولذلك تصعب معرفتهم في البداية، ولكن عندما تزول الشبهات يظهر وجههم الحقيقي: «إِنَّ الْفِتْنََ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبِهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبِهَتْ، يُنَكِّرُنْ مُقْبَلَاتٍ، وَيُغَيِّرُنْ مُدْبِرَاتٍ» (الخطبة: ٩٣) وعادة ما تبدو الفتنة في أذهان الناس شبيهة بالحق، وبعد أن اجتازت مراحلها يدرك الناس أنها كانت فتنة، فهى لا تظهر كفتنة في البداية بل تظهر شبيهة بالحق ويكون الدعاء لها كالدعاء إلى الحق والهدى، ولكن عندما تغلغل الفتنة بين الناس فسوف يدركون أنه لا دخل لها بالحق وأن أولئك الدعاء إلى الحق كانوا في

عنهم لأنهم منحرفون عن الصراط المستقيم ويضللون غيرهم من الناس بجعلهم يشبهون بين الحق والباطل، وتدل كلمة "تلون" على تغير أقوال وأفعال المنافقين بسبب سعيهم وراء لباطل والأغراض الفاسدة حيث يتعاملون مع كل شخص بتصرف مختلف ويحاولون دائماً جزّ الآخرين إلى الفتنة.

٣. الخواص: وهم أصحاب المناصب وزعماء المجموعات الذين يفتخرون بحسبهم ونسبهم. يقول الإمام على (ع) فيهم: «أَلَا فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَلَى حَسَبِهِمْ، وَتَرَفُّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ» (الخطبة: ١٩٢) وقد أشير إلى هذا الأمر في القرآن الكريم حيث يرفض تعالى ذريعة الضالين الذين يلقون باللوم في ضلالهم على أسيادهم: «وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» (الأحزاب: ٦٧) ويعتبر الإمام على (ع) أن سبب عدم جدارة هؤلاء بالطاعة يعود إلى تكبرهم وتفخرهم ونسيانهم أنهم خلقوا من طين، ولو أنهم يدركون أصلهم ومن أية مادة خلقوا، لكانوا في منتهى التواضع: «وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ غَدًا جِيفَةً» (الحكمة: ١٢٦) (شهيدى، ١٣٧٨: ٣٨٣).

٤. من وكلهم الله على أنفسهم: وهؤلاء دائماً ما يأتون بالبدع والفتن: «بِإِنَّ أُبْعَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِزٌ عَنِ فَضْلِ السَّبِيلِ، مَشْعُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَّ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ افْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْيَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ...» (الخطبة: ١٧؛ شهيدى، ١٣٧٨: ١٩) تتمثل الفئة الأولى في الحكام المضللين والفئة الثانية في القضاة الجهلة (مكارم شيرازي، ١٣٧٥: ١/ ٥٧١) ولذلك فإن معنى كلمة الحكم في هذه الخطبة «يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل» فهذا مفهوم عام يشمل الحكم والقضاء.

وأشير إلى النساء والأولاد في آيات القرآن وكلام الإمام على (ع) على أنهم أسباب للفتنة: «وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزِنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ» (الخطبة: ١٦٠) (فيض الإسلام، ١٣٧٩: ٥٠٩/٣).

مفهوم الفتنة من منظور نهج البلاغة / ٦٥

عَلَى أَدْبَارِهِمْ وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ  
الْبَصَائِرِ» (الرسالة: ٣٢؛ شهدي، ١٣٧٨: ٣٠٩).

٢. تقويض مبادئ الدين: بعد إحيائهم لقيم الجاهلية،

يقوم مثيرو الفتن بتقويض مبادئ الدين وقيمه العليا. يقول  
الإمام علي (ع) في الخطبة ٥١: «وَتَلْمِزُ مَنْ أَرَادَ الدِّينَ» وفي  
الخطبة ٥٠: «إِنَّمَا بَدَأَ وَفُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبِعُ وَأَحْكَامُ  
تُبْتَدِعُ، يُخَالِفُ فِيهَا كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رَجَالٌ رَجَالًا  
عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ...» (شهدي، ١٣٧٨: ٤٤) ويبين (ع)  
فتنة الناكثين وحب الجمل وتظاهرهم بالتدين قائلاً: «حَتَّى  
سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ» (الخطبة: ٤).

٣. التشكيك: تؤدي الفتنة بالأذهان إلى الشك والتردد  
بمزجها للحق والباطل والتظاهر بالتدين مما يضعف جبهة  
الحق ويقوي جبهة الفتنة. يعتبر الإمام علي (ع) أن الفتنة:  
«تَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ» (الخطبة: ١٥١) كما يعتبر أن الفتنة  
تقلل العلم والحكمة: «تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ» ويقول كذلك:  
«خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَأُكْلَةٌ  
لِحَاكِلٍ وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ» (الخطبة: ١٤؛ شهدي، ١٣٧٨: ١٦)  
وقد امتنع سليمان بن صرد عن نصرة الإمام الحسين بسبب  
تردده، لكنه ندم بعد استشهاد الإمام.

٤. الاستبداد والاستئثار: يعتبر الإمام علي (ع) في الخطبة  
٣٠ أن سبب مقتل عثمان هو استبداده ويقول: «أَسْتَأْتِرُ فَأَسَاءُ  
الْأَثَرَةَ، وَجَرَعْتُمْ فَأَسَاتَمُ الْجَزَعَ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقِيعٌ فِي الْمُسْتَأْتِرِ  
وَالْجَارِعِ» وعندما بدأ المسلمون بالاعتراض لم يصغ إليهم مما  
أثار الناس ضده وتخلي عنه المهاجرون والأنصار.

إن الخصائص التي ذكرناها للفتنة ومثيري الفتنة هي  
السمات العامة التي ترتبط بكافة العصور والأزمان ولا يمكننا  
أن نحصرها بعهد الإمام علي (ع)

تعامل الإمام علي عليه السلام مع الفتنة

١. اليقظة أمام العدو: يعتبر الإمام علي (ع) أن أهم سماته  
في مواجهة الفتنة هي اليقظة في مواجهة العدو فيقول: «وَأَنَّ  
اللَّهَ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا  
طَائِفُهَا وَيَخْتَلِبَهَا رَاصِدُهَا» (الخطبة: ٦) (شهدي، ١٣٧٨: ١٤)  
ويؤكد (ع) على ضرورة اليقظة أمام العدو وعدم الغفلة  
عنه، لأن لحظة غفلة قد تسبب الكثير من الأضرار: «مَنْ نَامَ

الحقيقة دعاة إلى الباطل (ابن ميثم، د. ت: ٢ / ٣٩١) ولهذا  
يعجز الكثير من الناس العاديين عن إدراك هذا الأمر فيجهلون  
كيفية التعامل مع العدو.

٣. عدم شمولية الفتن: «يُحْمَنَ حَوَمَ الرِّيَاحِ، يُصَيَّبَنَ بِلَدًّا  
وَيُحْطِطُنَ بِلَدًّا» (الخطبة: ٩٣) (شهدي، ١٣٧٨: ٨٦) عندما  
يدخل الأفراد في دوامة الفتن يفقدون تركيزهم ويقظتهم  
فيعجزون عن الاستعانة بفكرهم بشكل صحيح. ولذلك فقد  
يتحركون في اتجاه منحرف عن الهدف الرئيسي، ولو أخبرهم  
أحد ما من خارج الدوامة بأنهم يسلكون الاتجاه الخاطيء فلن  
يسمعه ولو سمعوه فلن يتمكنوا من اتخاذ القرار الصحيح،  
وهذا هو جو الفتنة (شريف، ١٣٩٠: ٣٥) وكما يعاني  
المصابون بالدوامة ويفقدون تركيزهم وسيطرتهم على  
أنفسهم، فالأمر كذلك بالنسبة للمفتونين حيث يفقدون  
السيطرة على حالهم في الجو الذي أوجده مثيرو الفتنة.

٤. تضرر ذوي البصيرة: «عَمَّتْ حُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ  
بِلَيْتِهَا. أَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ  
عَنْهَا» (شهدي، ١٣٧٨: ٨٦) بديهي أن أضرار الفتنة ستعم  
مختلف أنحاء المجتمع وربما تشير عبارة "عَمَّتْ حُطَّتُهَا" إلى  
هذا الأمر ذاته إلا أن شفرتها الحادة تصيب ذوي البصيرة  
ويبقى الغافلون واليقظون عديمو المسؤولية في أمان منها:  
«عَمَّتْ حُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بِلَيْتِهَا».

٥. تضرر مثيري الفتنة: فكما ذكرنا، فإن الفتنة تشبه  
الدوامة التي لا يمكن لأحد السيطرة عليها حتى نفسها. عندما  
تعم الدوامة المجتمع فلن يتمكن حتى مثيروها من السيطرة  
عليها، ولذلك فهي تذهب بمصالحهم أيضًا، ولذلك يقول  
الإمام علي (ع): «مَنْ شَبَّ نَارَ الْفِتْنَةِ كَانَ وَقُودًا لَهَا» (تيمى  
آمدي، ١٣٧٧: ٢ / ١١٢٦).

سمات مثيري الفتنة

١. العودة إلى عصر الجاهلية: إن الارتداد عن القيم الدينية  
والعودة إلى الجاهلية سمة بارزة من سمات مثيري الفتن ويمكن  
أن نسُميها العودة إلى الجاهلية الأولى. يقول الإمام علي (ع)  
مخاطبًا معاوية: «وَأَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا، خَدَعْتَهُمْ  
بِعَيْكَ وَالْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغَشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَطَّمُ بِهِمُ  
الشُّبُهَاتُ، فَجَازَوْا عَنْ وَجْهِهِمْ وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا

قال: (ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الفتنة يوماً، فقلنا: يا رسول الله، كيف الخلاص منها؟ فقال: بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، ما تركه جبار إلا قصم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ضل، وهو الحبل المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا تشبع منه العلماء، ولا تنقضى عجائبه. (نورى طبرسى، ١٤١١: ٢٣٩/٤) فبالنظر والتدقيق فى مفهوم الآيات يمكننا فى هذا العصر تمييز الحق عن الباطل.

٢. اتباع أهل البيت: وهو ما أوصى به النبى (ص) قبل رحيله لأجل تجاوز الفتن حيث يخاطب عمراً قائلاً: يا عمار ستكون بعدى فتنة فإذا كان ذلك فاتبع علياً وحزبه فإنه مع الحق والحق معه. (خزار قمى، ١٤٠١: ١٢٢) ويعتبر الإمام على (ع) كذلك أن إحدى طرق تجاوز الفتن هى التمسك بأهل البيت: «قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَزَرَ الْمُؤْمِنُونَ وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ، نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا مِنْهَا، فِيهِمْ كَرَاهِيَةُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا...» (الخطبة: ١٥٤) (شهيدى، ١٣٧٨: ١٥٣) ويقول فى الخطبة ٩٣: «نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ» (م. ن. ٨٦).

٣. البصيرة والوعى أثناء الفتن: يقول الإمام على (ع) فى هذا الشأن: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنَ اللَّبُونِ؛ لِأَظْهَرِ فَيْرُكْبُ وَلَا ضَرْعُ فَيْرُكْبُ» (الحكمة: ١؛ شهيدى، ١٣٧٨: ٣٦٢) يقول ابن أبى الحديد فى شرح هذه العبارة: وابن اللبون لا يكون قد كمل وقوي ظهره على أن يركب وليس بأنتى ذات ضرع فيحلب وهو مطرح لا ينتفع به. وأيام الفتنة هى أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير وفتنة مروان والضحاك وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك؛ فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق وسل سيف والنهى عن المنكر وبذل النفس فى إعزاز الدين وإظهار الحق (ابن أبى الحديد، ١٣٤١:

عَنْ عَدُوِّهِ أَنْبَهُتُهُ الْمَكَائِدُ» (خوانساري، ١٣٦٦: ٥/٣٤٤) وقال كذلك: «لا تأمن عدواً وإن شكر» (خوانساري، ١٣٦٦: ٦/٢٦٨).

٢. الاستدلال: الأسلوب الثانى لمواجهة الفتن يتمثل فى الاستدلال والمنطق حيث يستند الإمام على (ع) بالآية الكريمة: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ» (النحل: ١٢٦) مؤكداً على أنه لا يجب نسيان المنطق والاستدلال فى مواجهة العدو: «يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ تَابَعَ يَدِيهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيَّةَ، فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرِفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ» (الخطبة: ٨؛ شهيدى، ١٣٧٨: ١٤).

٣. إفحام العدو: عندما سمع (ع) الخوارج يقولون «لا حكم إلا لله» قال: «كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَأَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ. وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا أَمْرَ إِلَّا لِلَّهِ. وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي أَمْرِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ...» (الخطبة: ٤٠) (م. ن. ٣٩) لقد قبل الخوارج الآية الكريمة التى تقول «لا حكم الا لله» من سورة يوسف، لكنهم يرفضون الآية التى تقول: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...» (يوسف: ١٠١) والتى نُصِبَ فيها حاكماً، إذن يجب على الحاكم أن يكون مثل سيدنا سليمان وملكة سبأ وغيرهم من الذين يحكمون بالحق.

٤. اللجوء إلى القوة: يعتبر الإمام على (ع) أن الحل الأخير لمواجهة الفتن هو اللجوء إلى القوة حيث يستند إلى قول الله تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلِمَةً لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (الأنفال: ٣٩) ويرى (ع) أن العدو لا يستقيم بطريقة سلمية وأن استمراره يؤدي إلى الهلاك، فلا حلَّ سوى القضاء عليه: «فَإِنْ أَبَا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ» (الخطبة: ٢٢؛ شهيدى، ١٣٧٨: ٢٣).

#### طرق التغلب على الفتنة

١. الاستعانة بالقرآن: إذا تمكّن المرء فى بحبوحة الفتنة والمؤامرات من الاعتماد بشكل صحيح على القرآن، فسوف يكون قادراً على تمييز الحق من الباطل. ويبين النبى (ص) كيفية تجاوز الفتن على النحو التالي: عن أمير المؤمنين (ع)



التفرقة والتزام الخير والتقوى ويحظر التعاون على الشر والذنب والفتنة والفساد، أي أنه إذا كان الهدف هو مساعدة الناس فالاتحاد والتضامن ضروري لكن التعاون على تضييع حقوق الناس أمر محظور.

٦. **اليقظة ونصر جبهة الحق:** إن تنوير المجتمع وتوعيته إلى الحقيقة من قبل نخبة المجتمع هو من أهم طرق مواجهة الفتن والتغلب عليها حيث يصبح كل شيء واضحاً ويصبح من السهل التمييز بين الحق والباطل. يقول الإمام على (ع) في الحكمة ٤٧٨: «مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا» (شهيدى، ١٣٧٨: ٤٤٦) ويقول فيما يتعلق بأهمية نصر جبهة الحق: «وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ، وَبِالسَّمْعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِي الْمُرِيبِ أَبَدًا» (الخطبة: ٦؛ شهيدى، ١٣٧٨: ١٤).

#### الخاتمة

للفتنة في القرآن الكريم معان كثيرة، وأهمها هو الابتلاء والفضوى، وجذر كل منهما هو الطغيان والإفراط. الشيطان في مدار الفتنة ويهدف إلى تقويض مبادئ الدين والمعتقدات واحداً تلو الآخر. أحد أهم أسباب الفتنة هو البدع واتباع هوى النفس، حيث يقوم مشيرو الفتن بتفسير الآيات والروايات على هواهم وهم يرتدون لباس العدالة. وتعتبر الفتن من أصعب التهديدات التي تواجه الدولة الإسلامية بسبب طبيعتها، حيث يمتزج الباطل بالحق ويصبح من الصعب جداً التمييز بينهما. ويسعى مشيرو الفتن من خلال مزج الحق بالباطل إلى تضليل ذوي البصيرة. يعتبر الإمام على (ع) أن الوعي والبصيرة من أهم طرق التخلص من الفتن والتغلب عليها ويقول الإمام (ع): «وَإِخْتَرُوا بَوَائِقَ النَّقْمَةِ وَتَبَتُّوا فِي قَتَامِ الْعُشُورِ وَإِعْوَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَإِنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ خَفِيِّهِ وَتَتَوَلَّى إِلَى فُطَاغِيهِ جَلِيلِهِ» (الخطبة: ١٥١) ويعتبر في الرسالة ٣٢ أن الأفراد ذوي البصيرة يتحررون من الفتن. ويعمد مشيرو الفتن إلى تقويض مبادئ الدين والعودة إلى الجاهلية، فإذا قام خواص جبهة الحق بتوعية المجتمع فسوف تزول الشبهات ويفتضح أمر أهل الباطل، لأن رفع مستوى البصيرة في المجتمع يساعد على تمييز الحق من الباطل وتثبيط الحيل التي يلجأ إليها مشيرو

١٨ / ٨٢) ويتضمن كلام ابن أبي الحديد أنه لم يكن هناك حروب وفتن في عهد الإمام على، بل ستحدث الفتنة عندما يضل الفريقان طريق الحق، وهذا الكلام يختلف عن تعريف الفتنة وسماتها، لكن كما أشرنا في بداية البحث فإن الفتنة تيار يشتهر فيه بين الحق والباطل مما يقود أفراد المجتمع إلى الخطأ، فإذا وقف الفريقان الضالان في مواجهة بعضهما البعض وتبينت الحقيقة فلن تحدث الفتنة. وهو لم يعتبر حوادث الجمل وصفين والنهروان من الفتن لأن الحقائق تبينت مع مرور الزمن، بينما لم يكن الحق والباطل بائناً آنذاك ولم يكن المسلمون قادرين على التمييز بينهما، ولذلك كان مشيرو الفتنة يبينون الحقائق بما يخدم مصالحهم.

٤. **طاعة القائد:** وهي تدفع الفتن وكما يقول الإمام على (ع) فإن عصيان القائد يؤدي إلى الندم والحسرة: «فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ» (الخطبة: ٣٥) ويقول كذلك: «فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْتَرَى عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا» (الخطبة: ٩٣؛ شهيدى، ١٣٧٨: ٨٥) وتشير هذه الجملة إلى فتنة البصرة والناكثين، فلم يجرؤ الناس على محاربة أهل القبلة والمسلمين لأنهم كانوا يخشون ارتكاب الذنوب. ويبين (ع) هذا الأمر في خطبة أخرى بعبارات مشابهة فيقول: «أنا الذي فقات عين الفتنة ولم يكن ليحترى عليها غيري وإيم الله لو لم يكن فيكم لما قتل أهل الجمل ولا أهل صفين ولا أهل النهروان» والمقصود «بفقات عين الفتنة» هو «فقات عين أهل الفتنة» (ابن ميثم، د. ت: ٢/٣٨٩).

٥. **الاتحاد والتضامن:** وهو من طرق مواجهة الفتن في المجتمع حيث يقول الإمام على (ع): «وَ الزُّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذُّبِّ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ» (الخطبة: ١٢٧؛ شهيدى، ١٣٧٨: ١٢٦) ويؤكد الإمام (ع) على قتل الأشخاص الذين يرفعون شعار التفرقة والانفصال ويحظر التعاون في عصيان الله: «أَلَا إِنَّ الدُّلَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَقْرَبُ إِلَى الْعِزِّ مِنَ التَّعَاوُنِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ» (شوشترى، ١٣٧٦: ١٦٥/٤) ويؤكد الإمام (ع) في حديث آخر على الحذر من

زمخشري، محمود (١٤٠٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار إحياء التراث العربي

شريف، أحمد حسين (١٣٩٠). موج الفتنة من حرب الجمل إلى الحرب الافتراضية. طهران: كانون انديشه جوان.

شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي (١٤٢٣). تحف العقول عن آل الرسول. قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الاعلمي. بيروت: مؤسسة الاعلمي.

شوشترى، محمد تقى (١٣٧٦). بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة. طهران: أمير كبير.

شهيدى، سيد جعفر (١٣٧٨). ترجمه نهج البلاغة. طهران: الشركة العلمية الثقافية للنشر.

شيخ صدوق (١٤٠٠). أمالي الصدوق. بيروت: أعلمي.

----- (١٤٠٤). من لايحضره الفقيه. قم: مجمع المدرسين.

شيخ مفيد، محمد بن نعمان (١٤١٣). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. قم: مؤتمر الشيخ مفيد.

طالقاني، محمود (١٣٧٤). ضوء من نهج البلاغة. مصحح: سيد محمد مهدي جعفري، طهران: مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإشاد الإسلامي.

طبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٤٢٠). جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر، د. مكان: مؤسسة الرسالة.

فراهيدي، خليل بن احمد (١٤١٠). ترتيب كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم سامرائي. تصحيح اسعد الطيب. قم: مؤسسة التوقف و الأمور الخيرية.

فيض الإسلام، سيد علي نقى (١٣٧٩). ترجمة وشرح نهج البلاغة (فيض الإسلام) طهران: مؤسسة الطباعة والنشر لتأليفات فيض الإسلام - انتشارات فقيه.

مكارم الشيرازي، ناصر (١٣٧٥). خطاب الإمام وشرح جديد شامل على نهج البلاغة. طهران: دار الكتب الإسلامية.

منقري، نصر بن مزاحم (١٤٠٤). وقعة صفين. تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثانية، أوفست قم، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامة.

نوري الطبرسي، الحاج ميرزا حسين (١٤١١). مُستَدْرِكُ الوسائل ومُسْتَنْبَطُ المسائل. بيروت: تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.

الفتن. وتعتبر طاعة القائد من أهم طرق التغلب على الفتن حيث يؤكد الإمام على (ع) على أن عصيان القائد يؤدي إلى الحسرة والندم. وتعتبر الآيات وكلام الإمام على (ع) الطريقة الأخيرة في دفع الفتن والنضال ضده.

#### المصادر

قرآن مجيد.

نهج البلاغة.

ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد (د. ت). شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد. مصحح: محمد أبو الفضل إبراهيم. قم: مكتبة آية الله مرعشي نجفي العامة.

ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، أحمد بن فارس (١٤٠٤). معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر.

الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢). مفردات في غريب القرآن، دمشق: دار العلم دار الشامية.

الطباطبائي، محمد حسين (د. ت). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

بحراني، ميثم بن علي بن ميثم (١٣٦٢). شرح نهج البلاغة. نشر الكتاب.

بلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (١٣٩٤). أنساب الأشراف. تحقيق محمد باقر المحمودي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

تيمي آمدي، عبد الواحد (١٣٧٧). ترجمة غرر الحكم ودرر الحكم (شيخ اسلامي) مترجم سيد حسين شيخ اسلامي. قم: انصاريان.

حسيني خطيب، سيد عبد الزهراء (١٣٦٧). مصادر نهج البلاغة وأسانيده. بيروت: دار الزهراء.

خزاز القمي (١٤٠١). كفاية الأثر. تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي. قم: بيدار.

خوانساري، جمال الدين محمد (١٣٦٦). شرح غرر الحكم ودرر الحكم (خوانساري) مصصح سيد مير جلال الدين حسيني ارموي محدث، طهران: جامعة طهران.